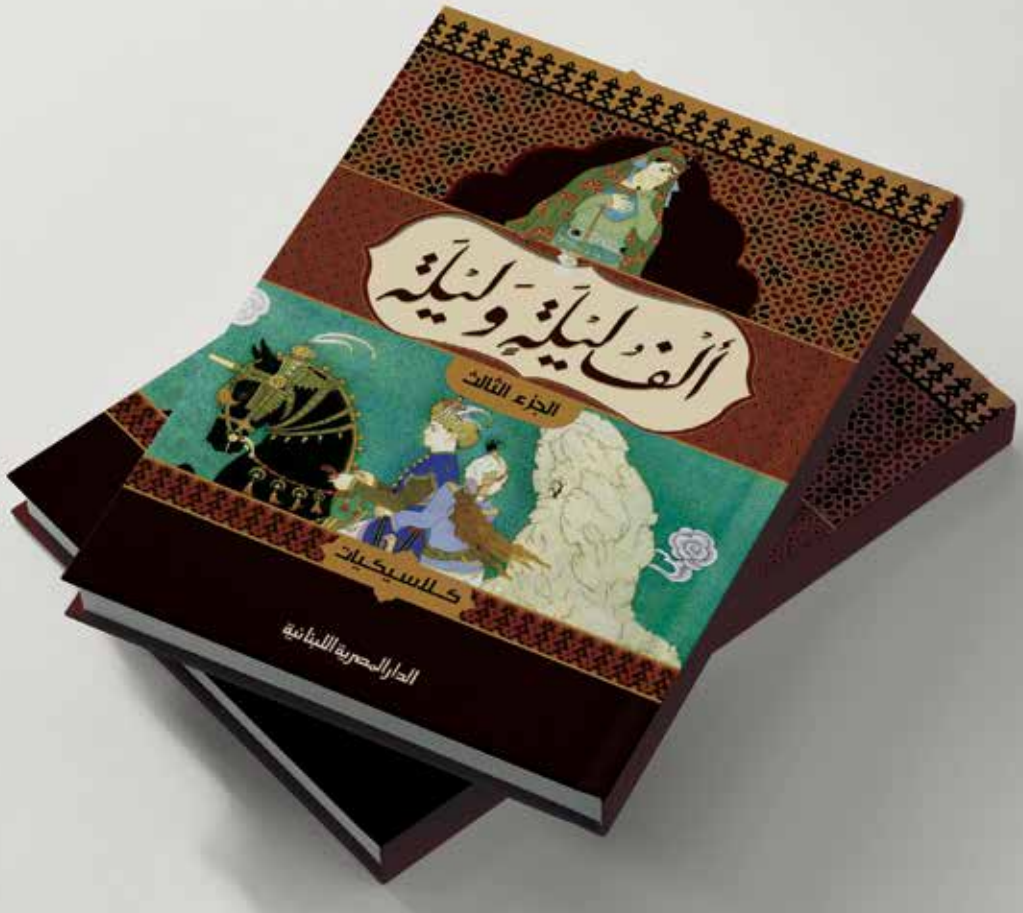
قراءات تناصية مع نصوص الأدب العالمي

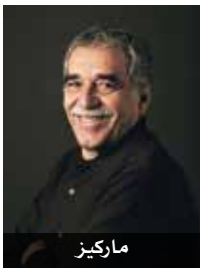
تأثير «ألف ليلة وليلة».. في القرن العشرين



عبد النبي اصطيف

يستطيع المتتبع للاهتمام الأوروبي بـ(ألف ليلة وليلة)، أن يلاحظ بسهولة أن سيل الترجمات والأبحاث والكتب والمقالات والرسائل الجامعية، المعنية بهذا الكتاب الكوني في مختلف اللغات الأوروبية، لا يكاد ينقطع، وبخاصة بعد أن اندمج تدريجياً في متون مختلف الآداب القومية الأوروبية وغير الأوروبية، وغدا جزءاً لا يتجزأ من متن الأدب العالمي، بتجاوزه حدّي الزمان والمكان، وتخطّيه عائق اللغة بالترجمة، وعائق الثقافة بالتوطين في مختلف التقاليد الأدبية القومية.




ماركيز

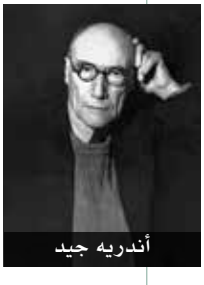

واسيني الأعرج


جيمس جويس


ريتشارد ليوين


توني موريسون


أولريش مارزولف


أندريه جيد


رنا قباني

وقد مكّنه هـذا الاندماج في هذه المتون من إقامة علاقات تفاعل نصية أو تناصّية، مع مختلف نصوص الأدب العالمي، نتيجة حضوره الشـامل في الثقافة الأوروبية، على الأقل منذ النصـف الثاني من القرن الثامن عشـر. ولا ريـب أن ترجمات (ألف ليلـة وليلة)، قد كان لهـا أهمية حيوية في تأثيرهـا الأدبي والفني والفكري فـي عوالم الأدب والفـن والثقافة العالمية.

والحقيقـة أن التقليـد الأدبـي والفنـي الأوروبـي الخاص بـ(ألف ليلة وليلة)، لم يكن مجرّد إعلان هامشـي عن اهتمام بالغرائبية، بـل كان مثالاً عـن تأثيـر الأدب العربي في الأدب الأوروبي، وتأثير الجماليات العربية في الفن الأوروبي. صحيـح أن كثيراً من الكُتاب والفنانين من مختلف اللغات والثقافات، قد لا يشـيرون على نحو مباشر إلى العمل الأصلي، إذ قد لا تتيسـر لهم فرصة العودة إلى النص العربـي المحقَّق من جانب الدكتور (محسـن مهدي)، أسـتاذ العربية في جامعة هارفرد، أو إلى ترجمة كاملة ودقيقـة ومتقنة لهذا العمل الكوني، مثل ترجمة (حسـين حـدّاوي) لنص «الليالـي» المحقَّق، ويكتفـون لذلك بالعودة إلى النسـخ الهجينة والمعدَّلة والمقتبَسـة منه في مختلف التقاليـد الأدبية القومية، غير أنه من المرجح أنهم قـد يحتفظون في أذهانهم بقصص منهـا، بينما هم ينشـئون نصوصهم القصصية والروائية من دون أن يشـيروا إليها بصراحة.

وربمـا كان آخـر ما صدر مـن مؤلفات رصينة عن حضور (ألف ليلة وليلة) في الأدب العالمي، كتاب ريتشـارد فان ليوين (ألف ليلة وليلـة والنثر القصصي في القرن العشـرين: قراءات تناصية)، الذي نُشِـر من قبل الناشر العالمي المشـهور (بريل) فـي كل من لندن وهولندا، وبوسـطن فـي الولايـات المتحدة الأمريكية، في شـهر تموز من عام (٢٠١٨م)، والذي فاز عام (٢٠٢٠م) بجائزة الشـيخ زايد (عن فئة جائزة الشيخ زايد للثقافة العربية في اللغات الأخرى).

والدكتـور ريتشـارد فـان ليوين؛ أسـتاذ جامعـي وباحث متميز ومترجِـم، يدرِّس في جامعة أمسـتردام، وسبق له أن فاز بعدة منح بحثية من الأكاديمية الملكية الهولندية للفنون والعلوم، ومؤسسة البحوث الألمانية، ومؤسسة العلوم الأوروبية. وهو معـروف بمؤلفاته في التاريخ الإسـلامي والأدب العربي، ولا سـيما بلاد الشـام، والتـي خصها بكتابيـن، أولهما: (الأعيان ورجال الدين في جبل لبنان: شـيوخ أسرة الخازن والكنيسة المارونية)، الذي صدر عـام (١٩٩٤م)، وثانيهمـا: (الأوقـاف والبنى المدنيـة: حالة دمشـق العثمانية) الذي صدر عـام (١٩٩٩م)؛ وذلـك إلى جانـب مؤلفاته عن الأدب العربي، ولا سـيما كتاب (ألف ليلة وليلة)، الذي ظفرت اللغة الهولندية على يديه بأول ترجمة كاملة له من العربية، نشـرت بين عامـي (١٩٩٣-١٩٩٩م)، وله فيـه، فضلاً على كتابه الفائز بالجائـزة، كتاب (ألف ليلة وليلة: الفسحة، والسفر، والتحوّل) (روتلدج- ٢٠٠٧م)؛ والليالي العربية: موسوعة، التي ألفها وحررها بالاشتراك مع أولريش مارزولف، بالتعاون مع حسان وسّـوف، والتي صدرت عام (٢٠٠٤م) عن دار النشـر الخاصة بالموسوعات ABC، في مجلدين كبيرين في (٩٥٠) صفحة، وضم الجـزء الأول منها خمس عشـرة مقالة لكوكبة من أبرز دارسـي الليالـي العربية في العالم، من أمثال: (خ. فـان غيلدر، وروبرت إيروين، ورنا قباني، وأبوبكر شرايبي، وحسن الشامي، وفدوى مالطي دوغـلاس)، وغيرهم... وكتاب ألف ليلة وليلة والاستشـراق فـي الجمهورية الهولنديـة (١٧٠٠-١٨٠٠م)، الـذي ألفـه

ترجمات (ألف ليلة وليلة) إلى اللغات العالمية كان لها تأثيرها الأدبي والفني والثقافي

يعد كتاب (ألف ليلة وليلة والنثر القصصي) للكاتب ريتشارد فان ليوين من أهم الإصدارات الحديثة

بالاشتراك مع أرنولد فروليك (أمستردام، ٢٠١٩م).

ومما يميز كتابه الفائز بهذه الجائزة، أنه يقدّم فيه تحليلاً نصياً لعدد كبير من نصوص الأدب العالمي في القرن العشرين، بغرض توثيق حضوره الشامل في الثقافة العالمية. ذلك فإن هذا الكتاب الضخم الذي يقع في (٨٤٢ صفحة)، يرصد في مدخل وستة أجزاء موزعة على عشرين فصلاً وخاتمة، حضور هذا الكتاب في أعمال أدبية لجمهرة من أدباء العالم تضم: (أندريه جيد، وهوغو فون هوفمنشتال، وميشيل بوتور، ومارسيل بروست، وفلاديمير نابوكوف، ومارغريت آتوود، وماركيز دوساد، وأنجيلا كارتر، وهاروكي موراكامي، وجيمس جويس، وخورخي لوي بورخيس، وإيتالو كالفينو، وخوان غويتسولو، ووليام فولكنز، وتوني موريسون، وغابرييل غارسيا ماركيز، وأورهان باموق، وهـ.ج. ويلز)، وغيرهم... فضلاً عن عدد من الأعمال الأدبية العربية لكل من: (الطيب صالح، وإبراهيم الفقيه، وعبدالكبير الخطيبي، وإلياس خوري، وواسيني الأعرج، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، ونجيب محفوظ، وهاني الراهب، ورشيد بوجدرة)، .. وغيرهم.

وبعبارة أخرى؛ لقد عمد المؤلف بدلاً من النظر إلى التلقّي الأوروبي خاصة، والتلقي العالمي عامة، لكتاب (ألف ليلة وليلة)، على أنه شكل من أشكال الاهتمام الاستشراقي بالثقافة العربية والمجتمعات العربية، وتدبُّره، من ثَمَّ بوصفه جزءاً من الإنشاء الاستشراقي الغربي، فإن المؤلِّف يفضل أن يقدمه على أنه طور متقدِّم من أطوار اندماج هذا العمل في متن الأدب العالمي. ولا شك أن مجموع الدراسات والتحليلات التناصّية، التي يقدمها المؤلف لهذه الأعمال ومناقشته لوجوه تفاعلها مع (ألف ليلة وليلة)، يكشف عن صورة رائعة للمشهد الأدبي العالمي في استلهامه للكتاب الكوني، الذي اندمج تماماً، وبالتدريج بدءاً من مطلع القرن الثامن عشر، مع ترجمة أنطوان غالان التي نُشرت بين عامي (١٧٠٤-١٧١٧م) بمتن الأدب العالمي، الأمر الذي حوّله إلى جزء لا يتجزأ من الذاكرة القصصية الجمعية للإنسانية، على حدّ تعبير الكاتب الأرجنتيني خورخي لوي بورخيس.

يقول فان ليوين، في معرض إجابته عن سؤال محاوره أليكس كريون، المنشور في مجلة الأدب العالمي في عددها العاشر من آب عام (٢٠٢٠م)، عن العمل الأول الذي نبهه إلى الصلة ما بين كتاب (ألف ليلة وليلة) والتقليد الأدبي الغربي، أنه رواية جون بارث (الرحلة الأخيرة لسندباد البحار)، وأن هذه الرواية قد حفزت اهتمامه في تقفي آثار حكايات شهرزاد في الأدب الحديث، وأنه بدأ بجمع الكتب التي تنطوي على إشارات لليالي العربية، فاجتمع له منها كمٌّ هائلٌ دفعه إلى تأليف كتابه الضخم. وكان مما لفت انتباهه في قراءته له: (هو هذا التنوع الكبير في الطرق التي قارب بها المؤلفون الحكايات، ليس بوصفها مجرد مصدر للغرائبية والاستشراق، وإنما بوصفها جزءاً من تقانات أدبية مركَّبة، واستراتيجيات سرد، ونماذج ثقافية، وإنشاءات سياسية)، ويضيف: (كان من الواضح أن آثار شهرزاد يمكن أن توجد في لبّ الخيال الحداثي الناهض، ليس بوصفها شكلاً من الغرائبية، وإنما لاستكشاف أمور أساسية من الشكل والمضمون. إن انبثاق الحداثة وما بعد الحداثة وطبيعتهما، لا يمكن شرحهما دون الإشارة إلى ألف ليلة وليلة).

إن (ألف ليلة وليلة) عمل يشرح الآلية الأساسية للقصّ، ويتجاوز الحدود الثقافية... إنه مستودع لا يُستنفَد من التقانات والاستراتيجيات السردية... ولهذا السبب فإن العمل قد استُعمِل، ولايزال، مصدراً للإلهام في فترات من الإبداع والتجديد والتجريب الأدبي.



عمد المؤلف في كتابه إلى إبراز عملية التلقي في الغرب لـ(ألف ليلة وليلة)

أوضح مدى تأثير شخصية (شهرزاد) في أدب الخيال الحداثي